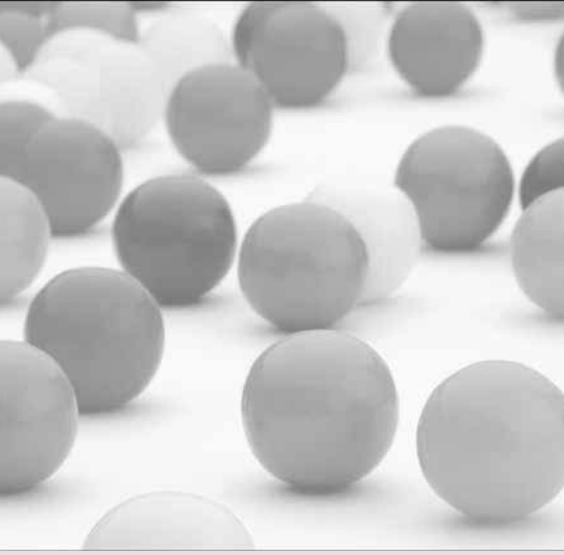


مقدمة عن الفروق الفردية من الأسئلة اليومية إلى الأسئلة النفسية (Introducing Individual Differences From Everyday to Psychological Questions)



نواتج التعلم (Learning Outcomes)

مع نهاية هذا الفصل، ينبغي أن تكون قادراً على الإجابة عن الأسئلة الخمس الرئيسية الآتية:

- 1 - ما الموضوعات الرئيسية في بحوث الفروق الفردية؟
- 2 - إلى أي مدى تختلف بحوث الفروق الفردية عن مجالات علم النفس الأخرى؟
- 3 - ما الأهداف الرئيسية لبحوث الفروق الفردية؟
- 4 - ما المجالات الرئيسية لتطبيق بحوث الفروق الفردية؟
- 5 - ما الموضوعات الخلفية التي يغطيها هذا الكتاب؟

الكلمات المفتاحية (Key Words)

- الجينات السلوكية • الأمطاط الثابتة للسلوك • علم النفس الفارق • الطلاقة • الوراثة • الذكاء • نظرية الذكاء • البيانات الطولية • الأصالة • التصنيف • السمة.

موجز الفصل (Chapter Outline)

1.7 تولد مختلفين؟	1.1 المقدمة
1.8 القدرات الأخرى	1.2 الشخصية: فكرة عامة
1.9 التنوع والتغيير: حالات الدافعية والمزاج	1.3 وصف الأفراد
1.10 الابتكار	1.4 اللاسواء
1.11 قيادة الطريق	1.5 الذكاء، المنافسة، والتكيف
1.12 الاهتمامات	1.6 التنبؤ بالنجاح

1.1) المقدمة Introduction

إن دراسة الفروق الفردية جزء من أحد الفروع التي تم إنجازها بشكل جيد في علم النفس، وترجع إلى ما يزيد على قرن من الزمان. هذه الدراسة ينطوي تحتها العديد من البناءات غير الملحوظة أو «الكامنة»، مثل الذكاء والشخصية، والتي تمثل المصادر الرئيسة للتباين في السلوك. وهذا يجعل الفروق الفردية مجالاً فريداً في علم النفس. ففي حين أن معظم النظريات النفسية تفترض أن الأفراد متساوون، ومن ثم، فإن هذه النظريات تحاول تحديد السمات العامة للسلوك الإنساني، إلا أن نظريات الفروق الفردية تهتم بالفروق بين الناس، أو بما يجعل كل فرد فريداً عن غيره. على سبيل المثال، ربما يحاول علماء النفس المعرفيون تفسير العمليات التي تمثل الأساس للذكورة قصيرة المدى، في حين أن الباحثين في مجال الذكاء ربما يوضحون السبب في أن بعض الناس لديهم ذاكرة قصيرة المدى أفضل من آخرين (Deary, 200)، وربما يفسر علماء النفس الاجتماعيون الإذعان للسلطة (Milgram, 1963)، في حين أن نظريات الشخصية تخبرنا عن الأسباب التي تجعل بعض الناس أكثر إذعاناً من الآخرين (Adorno et al., 1950).

كما أن علماء النفس التربويين ربما يقيسون تأثير القلق على التعلم (Darke, 1988)، في حين أن الباحثين في مجال الشخصية ربما يقيسون احتمالية أن يمر الفرد بخبرة القلق (Zeidner, 1998). وربما يقيس العلماء في مجال علم النفس العصبي ما إذا كان للعقاقير الإنعاشية، مثل النشوة، تأثيراً طويلاً المدى على مستوى العدوانية لدى الأفراد، في حين أن العلماء في مجال علم النفس الفارق ربما يبحثون لمعرفة أي الأفراد من المحتمل أن يستخدموا العقاقير الإنعاشية، والسبب في ذلك (Zuckerman, 1994).

إن هدف الباحثين في مجال الفروق الفردية إذاً يتمثل في تحديد الجوانب الأكثر عمومية، والتي تمثل الأساس للفردية، ووضع مفاهيم للتصنيف النظري للتنبؤ بالفروق والتشابهات في التفكير، والانفعال، والسلوك الإنساني. إن الباحثين في مجال الفروق الفردية مهتمون بتفسير كيف ولماذا يتباين الناس عن بعضهم بعضاً، ويهدفون إلى إنجاز مدى واسع من فهم العمليات النفسية التي تحدد هذه الفروق.

في هذا الفصل، أقدم موضوع الفروق الفردية من منظور مشكلات الحياة الواقعية. بمعنى آخر، أستخدم مدخل العامة لاستكشاف القضايا النفسية التي تستثير المجال الأكاديمي للفروق الفردية الذي يعرف باسم علم النفس الفارق. وعلى الرغم من أن حدود علم النفس الفارق لم يتم رسمها بعد، إلا أن التسمية «الفروق الفردية» تستخدم بشكل طبيعي لتشير إلى الشخصية والذكاء. وبناء على ذلك، فإن نصف هذا الكتاب - بطريقة أو بأخرى، مكرس لهذه المتغيرات (انظر الفصول 2، 3، 5، 6، 7، 8) ومع ذلك، فإن الشخصية والذكاء ليسا كافيين لتفسير الفروق بين الأفراد، كما أن دراسة الفروق الفردية تنطوي على أكثر من نظريات الشخصية والذكاء. لذلك، فإن هذا الكتاب يغطي أيضاً علم النفس المرضي والسلوك غير السوي (الفصل 4)؛ الدافعية، وحالات المزاج (الفصل 9)، الإبداع (الفصل 10)، القيادة (الفصل 11)، والميول (الفصل 12). والشكل (1.1) يقدم استعراضاً للوصف الأساسي لهذه الفصول.



الشكل (1.1) محتويات الكتاب بلمحة عاجلة

(2.1) الشخصية: فكرة العامة (Personality: A Commonsense Idea)

علم النفس الفارق: هو الدراسة الأكاديمية للفروق الملحوظة بين الأفراد بلغة المحددات النفسية الأساسية.

يهدف علم النفس الفارق (Differential Psychology) إلى تفسير الفروق الملحوظة بين الأفراد بلغة المحددات النفسية الأساسية، وهذا يوحي بأن فروقاً نفسية معينة - في الطريقة التي يفكر بها الناس أو يشعرون بها - تؤدي إلى إظهار فروق في الطريقة التي يتصرفون بها. لهذه الغاية، فإن العلماء في مجال

علم النفس الفارق يجمعون قدرًا كبيرًا من المعلومات عن كيف يتصرف الناس، مع الانتباه الكبير إلى الأنماط السلوكية الثابتة، وتحقيق المقارنات بين الأفراد المختلفين. وهذا يمكنهم من التنبؤ باحتمالية أن يتصرف الفرد بطريقة أو بأخرى.

خذ على سبيل المثال، الأمثلة الآتية:

• تبلغ «تشلوي» (Chloe) من العمر (21) عاماً، وتحب حضور الحفلات، كما أن لديها العديد من الأصدقاء، فهي تحيا حياة اجتماعية نشطة. كما تفضل صحة الآخرين على الدراسة أو القراءة، وتشعر بالملل بسهولة إذا ما بقيت في البيت.

• تبلغ «لورا» (Laura) من العمر أيضاً (21) عاماً، وتقضي معظم عطلات نهاية الأسبوع في البيت، تقرأ وتكتب. فهي تكره الحفلات الصاخبة، ولا تحب الحديث إلى الغرباء، وتستمتع بقضاء الوقت مع أسرتهما والقليل من الأصدقاء المقربين ولكن لا تبذل أي مجهود لمقابلة أفراد آخرين.

الآن، تدبر المعلومات التي لديك عن تشلوي، ولورا، وحاول الإجابة عن الأسئلة الآتية:

(1) هل أنت متشابه مع «تشلوي» أم «لورا»؟

(2) ماذا عن أصدقاؤك؟ هل هم يشبهون «تشلوي» أكثر أم «لورا»؟

(3) كيف يمكنك وصف «تشلوي» و «لورا»؟

(4) ما الشيء الآخر الذي تريد أن تعرفه عن «تشلوي» و«لورا» لتعرف طبيعتهما؟

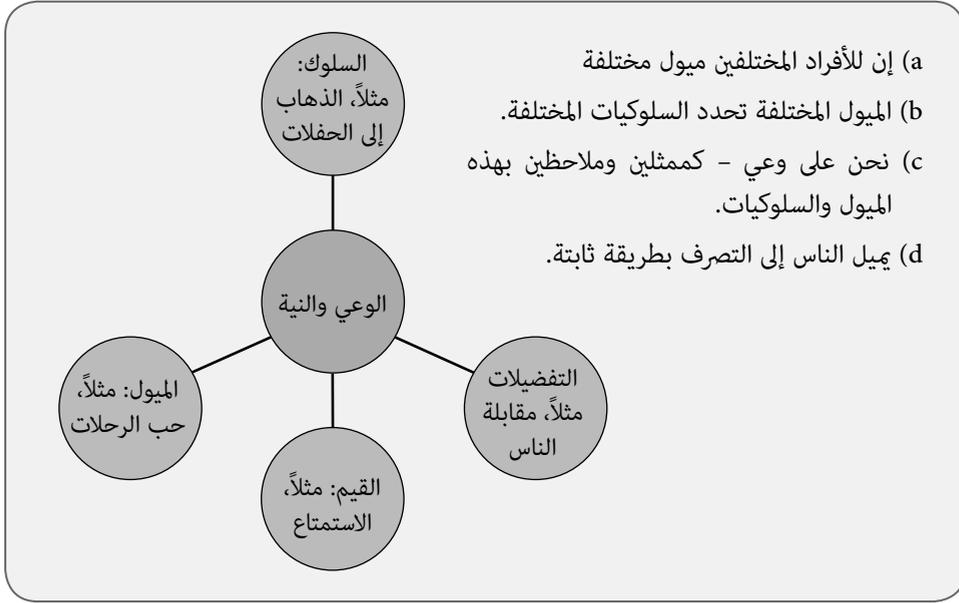
(5) لماذا تختلف كل منهما عن الأخرى؟

هناك افتراضات عديدة تمثل الأساس لهذه الأمثلة المذكورة أعلاه: أولاً- يمكن أن نرى أن الأفراد- حتى لو كانوا من السن والجنس نفسه - لديهم اهتمامات مختلفة (على سبيل المثال، القراءة، الخروج، مقابلة أفراد جدد). ثانياً- هذه الاهتمامات ربما تحدد الطريقة التي تتصرفان بها في العادة، بمعنى، اختياراتهن للسلوك عبر مدى واسع من المواقف. لذلك، لو أن «تشلوي» تحب الذهاب إلى الحفلات، فمن الممكن أن تذهب إلى الحفلات أكثر مما تكون عليه حالة عدم حب الحفلات (كما في حالة لورا). ثالثاً- ومن خلال النقطة الثانية، يمكن أن نرى أن هناك فكرة متضمنة في الأمثلة السابقة وهي أن الأفراد على وعي بما يحبون وما لا يحبون. فالممثلون (مثلاً تشلوي ولورا) ليسوا هم فقط الذين على وعي، ولكن الملاحظين (من يصفون سلوك الآخرين) على وعي أيضاً. لذلك، فإننا نواجه منظورين لتقييم الفروق في السلوك، و هما تحديداً: الملاحظة الذاتية، وملاحظة الآخرين. وأخيراً وتشير الأمثلة إلى أن الناس يميلون إلى التصرف بأسلوب ثابت. بمعنى، هناك أنماط معينة من السلوك شائعة ومتكررة لدى بعض الأفراد، ولكنها غريبة أو غير مألوفة لدى آخرين.

وبإيجاز، تشير الأمثلة السابقة إلى أن:

- الأفراد المختلفين لديهم ميول، وقيم، وتفضيلات مختلفة.
- ميول، وقيم، وتفضيلات الناس تظهر في سلوكياتهم.
- نحن على وعي - كممثلين وملاحظين - بهذه الاهتمامات، والقيم، والتفضيلات.
- الناس يميلون إلى التصرف بطريقة ثابتة نوعاً ما عبر الزمان والمكان (انظر الشكل (1.2) لتمثيل بياني لهذه الفرضيات).

كل هذه الفرضيات تقع في عمق بحوث الفروق الفردية، خصوصاً نظريات سمات الشخصية، والتي هي محور تركيز الفصلين 2 و3 والتي هي محور تركيز الفصلين (2، 3).



الشكل (1.2) السمات كاستعدادات للتصرف وفقاً للميول والقيم، والتفضيلات

(3.1) وصف الأفراد (Describing Individuals)

السمة: استعداد نفسي داخلي، يظل دون تغيير إلى حد بعيد خلال حياة الفرد ويحدد الفروق بين الأفراد. ومن أمثلة السمات: الانبساطيه، العصائيه، والتقبليه.

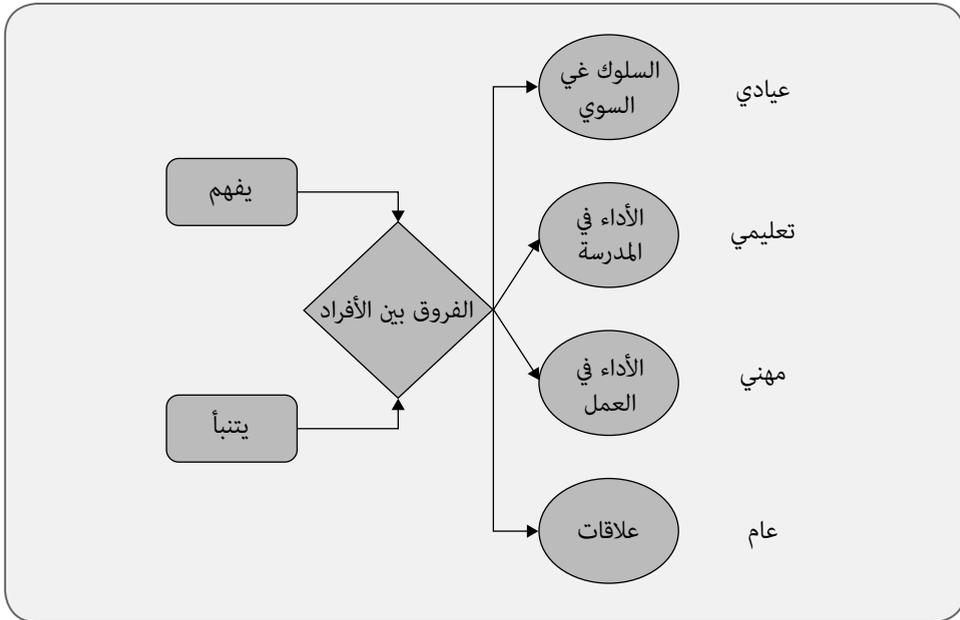
التصنيف: نظام للتقسيم، وفي علم النفس الفارق، يحدد التصنيف عوامل القدرة أو الشخصية الرئيسة التي يختلف بها الناس.

إن نظريات الشخصية تحدد مفهوم الفروق الفردية بلغة الخصائص النفسية الواسعة أو السمات (Trait) (انظر الفصل 2)، والتي تعتبر وراثية وتظل إلى حد ما ثابتة على مدار حياة الفرد، خصوصاً بعد الكبر، وبنفس الطريقة التي نستطيع بها وصف الأفراد وفقاً لخصائصهم الفيزيائية (مثلاً طويل، جريء، نحيف، سمين، شاحب)، فقد حاولت نظريات الشخصية تطوير تصنيف (Taxonomy) أو تقسيم للأفراد بلغة خصائصهم النفسية (مثلاً: انبساطي، واعي، متقبل، خجول).

وبهذا المعنى، فإن الهدف الأول في وضع مفهوم سمات الشخصية هو هدف وصفي (Descriptive)، بمعنى، لتجديد الأبحاث الرئيسة للسلوك التي يمكن بها المقارنة بين الأفراد. وباللغة الفيزيائية (الجسمية)، يمكن أن تقارن الأفراد من حيث الطول، الوزن، لون

الشعر، الجلد، وهكذا، وفي الحقيقة هناك العديد من السمات السلوكية للأفراد كما أن هناك سمات فيزيقية. ومع ذلك، في حين أن من السهل ملاحظة الفروق في التركيب الفيزيقي، إلا أنه من الصعب ملاحظة الفروق في المتغيرات النفسية، مثل: السلوك، والمشاعر، والأفكار. وعلى سبيل المثال، يمكن أن تقول في معظم الحالات ما إذا كان الفرد أطول من الآخرين، ولكن من الصعب - بشكل طبيعي - أن نذكر بأن الفرد أكثر خجلاً من الآخرين. لأن هذا لا يتطلب فقط ملاحظة منظمة للمقدار الذي يتحدث به الفرد، ولكن تقديراً لنيته للكلام أيضاً.

وهناك قضية مهمة أخرى وهي جدوى إنجاز تصنيف ميول الأفراد للتصرف بطرق معينة، سواء أدى ذلك إلى تحسين أي من مظاهر حياتنا، مثل العمل أو العلاقات أم لا؛ يتم قياس الفروق الفردية من خلال أدوات القياس السيكمترية مثل اختبارات الأداء أو قوائم التقرير الذاتي، التي تتكون من أسئلة الاختيار من متعدد المعيارية. إن الدرجات على هذه المقاييس ترتبط - بشكل أساسي - بالسلوكيات التي يمكن ملاحظتها، وتتنبأ بالفروق والتشابه بين الأفراد عبر مدى واسع من المواقع (مثل، المدرسة، العمل، الرياضة، الحياة اليومية). إن هذه الفروق تساعدنا - إلى الحد الذي يمكننا من تقييمها بشكل موضوعي، وربطها بمؤشرات الحياة الحقيقية أو النواتج السلوكية - على فهم لماذا، وكيف يتباين الناس. هناك العديد من تطبيقات عملية للنظريات التي تهدف إلى تقديم تصنيف واسع للسلوك الإنساني، والأفكار الإنسانية، والوجدان الأنساني. وفيما يأتي في الشكل (1.3) بعض الأمثلة ولكن هناك كثيراً غير ذلك (هناك شيء ما قد ترغب في التفكير فيه عن نفسك).



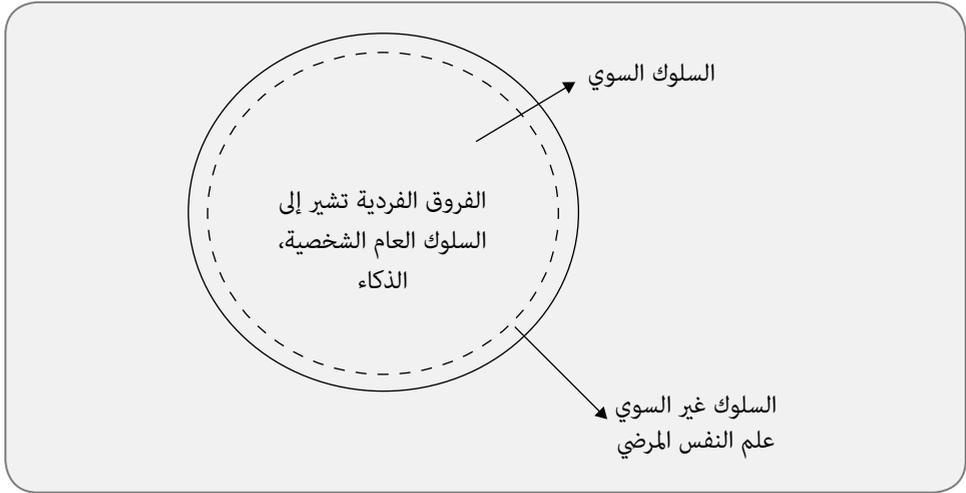
الشكل (1.3) علم النفس الفارق: الغايات والتطبيقات

ربما يستفيد المعلمون من معرفة ما إذا كان التلاميذ يعانون من صعوبات التعلم، أو ما إذا كانوا قادرين على التعلم بسرعة بشكل يجعلهم يشعرون بالملل من المناهج التقليدية. وربما يستفيد أصحاب الأعمال لو استطاعوا تحديد المتقدمين للوظائف الذين يناسبون الوظيفة بشكل أفضل، خصوصاً إذا كانت الخبرة السابقة في العمل قليلة الأهمية. وربما يجد مديرو الرياضة أن من المفيد معرفة الجوانب النفسية لشخصية الرياضيين - تلك التي تحدد ما إذا كانوا سيؤدون بشكل جيد في مراحل مهمة من المنافسة. وقد يجد ضباط الجيش أن من المفيد التنبؤ من المجندين الذين يصلحون لقيادة بعثات معينة (على فرض أن ذلك في الحرب ضروري، بالطبع). وربما ترغب سلطات الشرطة في أن يكون لديها فهمٌ دقيقٌ للدوافع وراء ارتكاب الجرائم. وربما يرغب الناس عموماً في معرفة الأشخاص (نساءً ورجالاً) الذين يتوافقون معهم من أجل تكوين صداقات، أو المشاركة في الأعمال أو العلاقات الرومانسية. إضافة إلى ذلك، إن معرفة ما يحب الآخرون وما يكرهون ربما تساعدنا على الارتباط بهم، ومعرفة ماهية الآخرين ربما تقودنا إلى التصرف بطرق معينة.

كما يمكن أن يُلاحظ، أن هناك سبلاً عديدة يمكن لبحوث الفروق الفردية من خلالها أن تقدم إسهامات مهمة في فهمنا لمشكلات الحياة اليومية. وبغض النظر عما يمكن أن تكون عليه نظريات الفروق الفردية من تجريد، فإن الأهداف نوعان: نظرية وتطبيقية. وإلى المدى الذي يهدف عندها علم النفس الفارق إلى التنبؤ بالسلوك الإنساني وفهمه بالمعنى العام، فإن هذا المجال من البحث ممتاز من الناحية النفسية. إضافة إلى ذلك، فإن علم النفس الإكلينيكي، وهو أحد المجالات الرئيسة في علم النفس، والذي يهتم بدراسة وعلاج الأمراض النفسية (انظر الفصل 4)، لن يتطور بالفعل دون استخدام نظريات الشخصية وطرق التقييم، حيث إنها لها دوراً حيوياً في التشخيص واستراتيجيات العلاج.

(4.1) اللداء (Abnormality)

إن معظم بناءات أو مفاهيم الفروق الفردية تتطور من مواقع يومية حقيقية، وتشير إلى السلوك السوي. في السياقات الإكلينيكية (مثل: المستشفيات، ومؤسسات الطب النفسي)، وكان علماء النفس قادرين على إعداد نظريات عن السلوك غير السوي، وإنجاز معايير للحكم على "الصحة النفسية"، وهو مصطلح صحيح من الناحية المنهجية للسواء. ويمكن أن تعود الأسس النظرية لبحوث الشخصية إلى بدايات الملاحظة الإكلينيكية (من "إميل كابلين" إلى "سيجيموند فرويد" و "هانز آيزنك")، في حين أن الأسس السيكومترية لتقييم الفروق الفردية نشأت في المواقع التعليمية، خصوصاً من خلال محاولات تعيين المحددات الرئيسة للنجاح المدرسي ("ألفريد بينيه" في فرنسا، و "تشارلز سييرمان" في إنجلترا). ونظراً للتعبير عن الفروق الفردية بلغة السلوك السوي وغير السوي، فإن علم النفس المرضي والشخصية مرتبطان لدرجة أن كثيرين يعتقدون بأن الأول هو فرع من الثاني (انظر الشكل 1.4).



الشكل (1.4) السواء واللاسواء في علم النفس الفارق وعلم النفس المرضي

وغالبا ما تتعرض بحوث الفروق الفردية للنقد بسبب تطبيقاتها السياسية والاجتماعية، وليست فكرة علم النفس المرضي عن "السواء" استثناءً (Szasz, 1958). ومع ذلك، فإن أي تفسير للسلوك الإنساني سوف يؤدي -لا محالة- إلى تعميمات، تنطوي على فكرة صريحة -بشكل كبير أو قليل- عن السلوكيات النموذجية السوية والسلوكيات المنحرفة. على سبيل المثال، كما يستخدم الأطباء التصنيفات المعرفة مسبقاً للحكم على ما إذا كان الخلل الوظيفي في أحد الأعضاء يسبب أعراضاً مؤلمة، فإن علماء النفس الإكلينيكيين يحتاجون إلى التحقق مما إذا كان تعقيد نفسي معين قد يسبب سلوكيات إشكالية لدى المرضى (انظر الفصل 4). وهذا يتم فقط من خلال قياس مستويات بعد معين ومقارنة هذه الدرجات بمستويات معيارية، معرفة مسبقاً، فعلى سبيل المثال، إن التحقق مما إذا كان الشخص بديناً أم لا يعتمد على وزنه، وما إذا كان الشخص مكتئباً أم لا يعتمد على مقياس الاكتئاب الذي نستخدمه. وعلى الرغم من ذلك، ففي كلتا الحالتين، من الضروري تحديد معالم السواء لتحديد علامات المرض.

ولسوء الحظ، فإن مصطلح "السواء" يُساء استخدامه في الغالب، والأسوأ أنه يشوه بواسطة أناس متعصبين، قد يحتاجون إلى إثبات اعتقادهم بسوائهم الذاتي، ومع ذلك، فإن هذا وحده لا ينبغي أن يكون مبرراً للتخلي عن معايير المقارنة. قد يدعى قليل من الناس أن على الأطباء - نظراً لأن الأفراد البدناء أو النحفاء يهرون بخبرة التحيز أو التعصب- التخلي عن محكاتهم أو معاييرهم لتقييم البدانة، أو التوقف عن اعتبار البدانة متغيراً له علاقة بالصحة، يمكن أن يُقال الشيء نفسه عن المقاييس النفسية مثل القدرة العقلية. نظراً لأن بعض الأفراد يسخرون من أولئك الذين يعتبرونهم أقل ذكاءً، فلا ينبغي على علماء النفس الامتناع عن تصنيف الناس بلغة قدراتهم العقلية، إن من الخطأ الحكم على فائدة أي شيء بنتائج سوء استخدامه. فنحن لا نحكم على فائدة السيارات بعدد حوادث الطرق أو حالات القيادة أثناء السكر، نحن لا نحكم على فائدة البريد الإلكتروني بعدد الرسائل المهملة التي يتم تسلمها،

ولا ينبغي الحكم على فائدة نظريات الشخصية والذكاء بعدم قدرة (أو عدم رغبة) بعض الأفراد في فهم معنى الفروق الفردية. في الواقع، إن المعرفة العلمية يمكن أن تساعد في محاربة المعتقدات التعصبية واللاعقلانية عن الآخرين، على الرغم من أننا نحتاج إلى أشياء كثيرة للنجاح في هذه المهمة. إضافة إلى ذلك، فإن نظريات الفروق الفردية ينبغي أن تكون قادرة أيضاً على تفسير سبب كون بعض الناس أكثر تعصباً من آخرين، وما إذا كان هذا النوع من السلوك يمكن منعه (Adorno et al., 1950).

(5.1) الذكاء، المنافسة والتكيف (Intelligence, Competition, and Adaptation)

إن السواء لا يمثل دائماً التصنيف "المرغوب فيه" بشكل كبير. في الحقيقة، هناك العديد من المواقف التي يفضل فيها أن تبعد نفسك عن المعيار. على سبيل المثال، إن لدى معظم الناس تسوساً في الأسنان، ولكن، سوف يذكر لك كل طبيب أسنان أن من الأفضل خلعها (في الواقع، هذا هو السبب في عدم رغبة كثير من الناس الذهاب إلى طبيب الأسنان). وبالمثل، فإن معظم طلبة الجامعة في المملكة المتحدة (أعتذر عن ذكر ذلك!) مدينون، ولكن الأكثر سعادة بالتأكيد هم أولئك الذين ينتمون إلى الأقلية "الأسوياء" وهم الطلاب الأقل ديوناً. وحتى في المصطلحات النفسية، ليس من الأفضل دائماً. التصنيف ضمن الأغلبية. إن أحد الأمثلة الواضحة هو الذكاء (Intelligence)، أو القدرة على حل المشكلات العقلية المرتبطة بالأداء في المدرسة، ومعظم مواقع الحياة الواقعية، إن معظم الناس - من الناحية المنطقية والإحصائية - متوسطون في الذكاء، على الرغم من أن غالبيتنا يفضلون أن ينظر إليهم الآخرون على أنهم من أدكى الناس في العالم. في الحقيقة، هناك رغبة لتفسير الاتجاهات السالبة لدى الناس نحو اختبارات الذكاء! فحتى رغبة الفرد في أن ينظر إليه على أنه أكثر ذكاءً من غيره في البلد، أو المدينة، أو في وسط الجيران، يُعد شكلاً من أشكال اللاسواء.

الذكاء: القدرة على حل المشكلات العقلية التي تتعلق للاداء في المدرسة، العمل او معظم مواقف الحياة الواقعية

تشير الفروق الفردية في الذكاء إلى قدرة الفرد على حل المشكلات التي تسهم في تكيفه الناجح مع العالم الحقيقي. ويمكن أن تتراوح المشكلات من المهام اليومية العادية، إلى الاختبارات الرياضية المعقدة. هذه القدرة - التي يمكن تقسيمها إلى المزيد من

القدرات المحددة - يتم قياسها من خلال سلسلة من المهام المعيارية التي يتنافس فيها الأفراد على أعلى الدرجات الممكنة، كما يفعلون تماماً في الحياة الواقعية، وعلى عكس المجالات الأخرى في علم النفس الفارق، مثل الشخصية، فإن الذكاء لا يقاس من خلال التقارير الذاتية أو تقارير الآخرين ولكن من خلال اختبارات الأداء، وهذا قد يجعل اختبارات الذكاء أداة قوية وتستخدم على نطاق واسع في تصنيف واختيار الأفراد في المواقع التعليمية والمهنية (Furnham, 2005) (انظر جدول 1.1). ولكن، هل يمكن أن نعرف حقيقة ما إذا كان أفراد بعينهم أكثر ذكاءً من الآخرين، وما المقصود بأن يكون المرء أكثر ذكاءً؟

على الرغم من أننا سوف نخاطب هذه الأسئلة بعمق في مكان آخر (تحديداً في الفصلين 5، 6، وبشكل غير مباشر في الفصلين 7، 8)، إلا أننا نطلب منك تدبر المثل الآتي:

”في أول يوم من المدرسة، سأل المعلم التلاميذ (البالغين من العمر 6 سنوات) عدداً من الأسئلة مثل ”ما الوقت الآن؟“، ”ما مجموع 4+7؟“، ”ما الحمار الوحشي؟“، و”لماذا تظلم الدنيا ليلاً؟“. يجب بعض التلاميذ على كل الأسئلة إجابة صحيحة، في حين لا يجب آخرون. إضافة إلى ذلك، يعرف بعض التلاميذ الإجابة عن بعض الأسئلة، ولا يعرفون الإجابة عن بعضها الآخر، وحتى بين التلاميذ الذين يجيبون عن كل الأسئلة إجابة صحيحة، فإن بعضهم قادرون على الاستجابة بشكل أسرع من الآخرين، كما يقدم بعضهم تفسيراً أكثر تقدماً.

جدول (1.1) الذكاء: الفروق الفردية في المنافسة والتكيف

- الذكاء، يعرف أيضاً بالقدرة العقلية، معامل الذكاء، القدرة المعرفية أو العامل العام g (للذكاء العام).
- يقيس قدرة الفرد على التكيف وحل المشكلات.
- يمكن أن تتراوح المشكلات من اختبارات الرياضيات المعقدة إلى رد فعل بسيط وحتى المهام العملية.
- يمكن تقسيم الذكاء إلى مهارات أو قدرات صغيرة.
- يُقاس الذكاء من خلال اختبارات الاختيار من متعدد المعيارية.
- تتم مقارنة أداء الفرد بالمعيار (بأداء الآخرين).
- معامل الذكاء أداة قوية ويستخدم على نطاق واسع لتصنيف واختيار الأفراد.
- أثبت أنه فعال للغاية، في المواقع التعليمية والوظيفية المهنية.

يمكن أن نسأل سؤاليين من الأسئلة البسيطة: لماذا يكون بعض التلاميذ أفضل في حل المشكلات، وما هي تطبيقات أن تكون أفضل أو أسوأ في هذا التدريب الذي يشبه تماماً تمارين المدرسة؟ لسوء الحظ، فإن الإجابات بعيدة عن السهولة، ويشير كثير من العلماء في مجال علم النفس الفارق (وحتى كثير من عامة الناس) إلى هذه القضايا ويتجادلون بشأنها، ففي حين أن هذا الأمر ينبغي أن يمكنك من تنمية رأي واعٍ عن صدق اختبارات الذكاء، إلا أن معظم الخلافات الجدلية المحيطة ببحوث الذكاء تأخذ شكل مراحل عند مستويات متقدمة، وسوف نعرضها هنا فقط.

وبالعودة بإيجاز إلى مثال حجرة الدراسة، فإن السؤال عن السبب في أن بعض التلاميذ أفضل في حل المشكلات قد تكون له إجابات مختلفة. هناك احتمال يتمثل في أن المعرفة التي تم اكتسابها من قبل (أي التي تعلمها من الوالدين) ربما تحدد قدرة التلاميذ على حل المشكلات، وهناك احتمال آخر وهو أن الأطفال يختلفون في حب استطلاعهم العقلي، الذي قد يقود بعضهم، وليس بعضهم الآخر، إلى البحث عن حلول لهذه المشكلات، وعلى الجانب الآخر، يمكن أن يقدم المرء الحجة على أن القدرة على

معالجة هذه المشكلات العقلية ومثيلاتها تعتمد بشكل كبير على مستوى توظيف المخ وأدائه، وهذا يوحي بأن معظم العمليات العقلية، والأساسية، والعمليات المطلوبة لحل هذه المشكلات ربما تحدد بشكل وراثي أكثر مما هو بشكل بيئي تعليمي.

وفي الوقت نفسه، نحتاج إلى مخاطبة السؤال عما إذا كان من الجدوى أن يكون المرء أفضل في هذا النوع من حل المشكلات أم لا، وبالنظر إلى المثال السابق، هل يمكن أن ندعي حقيقة أن هؤلاء الأطفال الذين يجيبون عن كثير من الأسئلة أكثر ذكاءً من الآخرين؟ هذا سؤال مهم، خصوصاً فيما يتعلق بالدرجة التي يتفق عندها العامة والخبراء أو لا يتفقون بشأن ماهية الذكاء، وما تقيسه بالفعل اختبارات الذكاء.

وبغض النظر عن أنواع معينة من اختبار القدرة الذي نستخدمه، فإن الإجابة بسيطة: إن المشكلات التي (أ) تتطلب عمليات عقلية، و(ب) ترتبط بمؤشرات الكفاية في مواقع الحياة الحقيقية ربما ينظر إليها على أنها مقياس للذكاء (انظر مرة أخرى إلى جدول 1.1). من خلال التعريف إذاً، تعدد مقاييس الذكاء مهمة لأنها تسمح لنا بعمل تنبؤات عن مستوى الإنجاز المستقبلي للأفراد (أي، الحصول على درجات مرتفعة في حل المشكلات العقلية يشير إلى قدرة عالية على النجاح، والعكس صحيح)، ومقارنة أدائها بناءً على المشكلات الموضوعية وليس الآراء الشخصية أو المتميزة.

6.1) التنبؤ بالنجاح Predicting Success

نظرية الذكاء وصف وفهم، وتنبؤ بالنظرية الفردية التي تتعلق بالتنافس والتكيف.

ما يتبع مناقشتنا في الجزء (1.5) بأن الهدف الأساسي والفوري لبحوث الذكاء براجماتي عملية بشكل كبير، وبالتحديد، التنبؤ بالنجاح والفشل المستقبلي. لذلك، فإن جوهر نظرية الذكاء (Intelligence Theory) هو وصف، وفهم، والتنبؤ بالفروق الفردية التي تتعلق

بالمنافسة والتكيف. ربما تكون هناك قدرات مختلفة وربما يتم تدريب الأفراد على تنمية مهارات مختلفة. ومع ذلك، قد يكون هناك دائماً فروقاً فردية في الأداء يمكن ملاحظتها، وهذه الفروق تعزى إلى الفروق في الكفاءة العقلية، واستخدام المعلومات اللفظية وغير اللفظية، ويعتقد أن اكتساب المعرفة واسترجاعها هو السبب في الفروق في الأداء عبر مدى واسع من المواقع.

لقد أشار نقاد علم النفس الفارق، خصوصاً أولئك المعارضون لنظرية وبعوث الذكاء، إلى أن تصنيف الأفراد بلغة قدراتهم أو مستوى المهارات تبسيط مبالغ فيه، ومقوِّض للفرد والمجتمع، كما أن اختبارات الذكاء يمكن استخدامها للتمييز ضد الناس، خصوصاً الأفراد المحرومون اقتصادياً. ومع ذلك، من الواضح أن هذا "التمييز" يقوم على تقويم عقلائي وتجريبي لخصائص الأفراد، وهذا عكس التمييز، نحن نفهم بشكل طبيعي أن التمييز يشير إلى معتقدات الحكم المسبق (التعصب)، والاتجاهات السالبة نحو فرد ما على أساس عضويته في مجموعة ما، بغض النظر عن خصائصه الفردية (Mornson, 2004)، وليس قدراته الحقيقية.